من أعلام المالكية: السنوسي محمد بن علي
بين منطق المنهج وتصور الحركة

الأستاذ الدكتور الأخضر شريط.
جامعة الجزائر

يهدف هذا البحث إلى إبراز القيمة العلمية لعلم من أعلام المالكية لشيخ العلامة السنوسي من خلال الاهتمام بالشروح التي تقدم بها في مختلف مؤلفاته. كما يهدف إلى التعرف على فكره الإصلاحي منه والتصوف عنده. وذلك قصد تنوير الغافلين بهذه الشخصية التي غمطها التاريخ حقها. ومنه فإن الاهتمام مرده إلى:أن العلامة كانت له خصال انفرد بها على مشيخة زمانه وهذه الخصال تجلت في حدثين وقعا في عهده، ويتعلقان بالجزائر.

أولاها:"موقف السنوسي من مهمة ليون روش (L, Roche): الجاسوس الفرنسي الذي حمل نص فتوى إلى علماء مكة ليوافقوا عليه، ومحتوى النص هو دعوة الجزائريين إلى الكف عن حرب الفرنسيين ماداموا قد سمحوا لهم بالعبادة. والمعروف أن روش قد روى بنفسه في كتابه القصة وكيف ذهب إلى مكة ومن رافقه من مقدمي الطرق الصوفية الجزائريين. وقد تنكر روش مدعيا أنه مسلم باسم (عمر). وكان ذلك سنة 1842. وقد اعترف روش أن العالم الوحيد الذي عارض الفتوى في المجلس العلمي الذي دعا إليه الشريف غالب، حاكم مكة هو السنوسي.وكانت حركة الجهاد على أشدها عندئذ في الجزائر بقيادة الأمير عبد القادر، وقد علق الفرنسيون الفتوى في المساجد بعد أن وافق عليها علماء المذاهب الأربعة في مكة وقرئت في خطب الجمعة من قبل الأئمة والخطباء الرسميين، كما قرئت في الأسواق ونشرتها (المبشر).

والثانية مدى دعم السنوسي لثائر الصحراء محمد بن عبد الله من السنوسية خلال الخمسينات، بل إلى وفاته. ومحمد بن عبد الله هذا كان قد التقى بالسنوسي في مكة، ونسق معه الرجوع إلى الجزائر في حدود 1850. وكتب السنوسي الرسائل إلى أهل الطرق والمؤيدين له يطلب منهم دعم حركة هذا(الشريف)وقد شملت المنطقة التي حارب فيها الشريف محمد، بلاد الطوارق وورقلة وبني زاب والأغواط والتوات ووادي ريغ ووادي سوف والزيبان. ويروي دوفيرييه أن الشخصية التي كانت وراء دعم هذا الشريف هو الحاج أحمد التواتي المعروف بالعالم وكان هو العضد الأيمن للسنوسي..."[1]

فإذا كان السنوسي قد اتبع منهج التصوف فأي نوع من هذا الأخير جعل منه علاّمة عصره؟ وإلى أي مدى كان تصوفه هذا يحقق المعقولية والمنطق ؟وإذا كان منطق المنهج هذا أفاء عليه بالمواقف السالفة الذكر فمن تصور لحركة سنوسية. فهل أن تصور هذه الأخيرة هو الذي أبدع فيه فن هذا المنهج ؟

سوف نحاول الإجابة على هذه الأسئلة معتمدين على نصوص من مصادر ومن مراجع تخدم موضوع بحثنا هذا .

Résumé

Cette recherche vise à souligner la valeur scientifique d'un homme célèbre de Maliki

Cheikh al-Sanusi(Mohamed bin Ali) par l'attention portée aux explications formulées par les différentes compositions

. Il vise également à identifier ses' idées de la réforme et de mysticisme.

[1]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص254

Et à partir de l'attention en raison de: que la marque avait des qualités de lui-même par les anciens de son temps et de ces caractéristiques se reflètent dans les événements qui ont eu lieu sous son règne, et se rapportent à l'Algérie.

Tout d'abord: «La position d'al-Sanusi du rôle de Léon Roche: (L, Roche) espion français qui emporté une *FATOUA* de l'avis consultatif des savants de la Mecque, et le contenu du *FATOUA* est un appel aux Algériens à renoncer à la guerre, les Français tant qu'ils leur ont permis d'adorer Il est connu que Roche s'était dit en. son histoire et comment il est allé à la Mecque et a été accompagné par les auteurs des ordres soufis des Algériens.

s'est vu refuser Roche, affirmant qu'il est un nom musulman (Omar). En 1842. a été reconnu par Roche que le seul savant qui s'est opposé à l'avis du Conseil scientifique, qui a appelé à Sharif Ghalib, le dirigeant de La Mecque est al-Sanusi. Le Jihad, le plus puis en Algérie, dirigé par le El-emir Abdelkader, a commenté l'opinion française dans la mosquée après avoir été approuvé par les savants des quatre écoles de la Mecque et lire à prêches du vendredi par des imams et des responsables des prédicateurs, comme lu dans les marchés et publié (évangéliste).

Et la seconde sur le support du révolutionnaire saharien Mohammed bin Abdullah de Senoussistes durant les années cinquante jusqu' à sa mort. Ce Mohammed ibn Abdullah avait rencontré Sanusi à La Mecque, et il a coordonnée avec lui le retour vers l'Algérie dans les limites de 1850. Sanusi écrit des messages à la population de *Torouk* et ses partisans pour leur demander de soutenir ce mouvement (Sharif).

cet activiste été dans la région, des Touaregs et Ouargla, Beni Zap Laghouat et Oud Souf et la vallée de Righ et Alziban. Ce Sharif ajoute Doverrier qui était derrière ce soutien est Alhaji Ahmad Sharif Touati connu comme savant, et il a été le bras droit Sanusi... "

Si Sanusi peut suivre le programme scolaire, ce genre de mysticisme, ce dernier fait de lui une marque de son temps? Et dans quelle mesure était-ce raisonnable atteint le soufisme et la logique? Si la logique de cette approche a décerné à la ci-postes mentionnés, il est une vision du mouvement Snousisme. La perception de ce dernier est celui qui excelle dans l'art de cette approche?

Je vais essayer de répondre à ces questions, sur la base des textes des sources et des références pour servir l'objet de notre présent

السنوسي النشأة والمرجعية.

هو محمد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي أبو عبد الله، فقيه ومتصوف "توفي أبوه بعد عامين من ولادته ، فتولت عمته فاطمة رحمها الله تعالى تربيته وتنشئته، حيث كانت متبحرة في العلوم ومنقطعة للتدريس، وكان يحضر دروسها الرجال كذلك، فحفظ القرآن في سن مبكرة، وبدأ دراسة علوم الشريعة المطهرة على عدد من علماء بلدته، حتى برع فيها، وكان ابن عمه الشيخ محمد السنوسي يزوده بتراجم العلماء والقادة والفقهاء فتأثر ابن السنوسي بذلك تأثرا عظيماً، وساهم ذلك في بناء شخصيته الإسلامية التجديدية بصورة واضحة"[1].

ولد سنة 1787م بمدينة مستغانم بالغرب الجزائري نشأ وترعرع في أحضان العلم والدين نهل من العوم الشرعية. فبدأ بحفظ القرآن. كما تعلم الفقه، وأخذ قسطا وافرا من شتى العلوم الشرعية. وأخذ نصيبه الوافر من علم التصوف بشتى الطرائق. كما نال حضه من الفلسفة والمنطق. ونال أيضا من فنون اللغة والأدب ما يسد به تضلعه في العلوم جميعها. يعتبر الرجل

[1])أنظر G:\Almukhtar Libyan Media.htm

من الرحالة. ومن يبتغ الترحل يزداد دراية وخبرة لا سيما بنفسيات الشعوب فكان كثير التنقل بين أصقاع العالم الإسلامي، حتى عرف عنه بالرجل الرحالة. غير أن رحلاته ما كانت ابتغاء النزهة والتسلية لكنها كانت ابتغاء التزود بالعلم والمعرفة من جهة. ومن جهة أخرى، كانت رحلاته ابتغاء نشر العلم والفضيلة والدعوى إلى الله. فهكذا كانت رحلاته دراسة معمقة لنفسيات أبنائها (أي أبناء الشعوب الإسلامية).

ومن الأمثلة على الرحلات التي أقامها العلامة السنوسي رحلته إلى الحجاز التي أسس بها في مكة المكرمة على جبل أبي قيس زاوية[1] وفيه كان يسهر على نشر العلم والمعرفة لما ينيف عن بضع سنوات. وتكرم بدخول الجزائر عائدا من الحجاز غير أنه صُدِم باحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830. فمكث بتونس مواصلا نشره للعلم وللدعوى. وتمكن من الفوز ببعض الوقت الذي سخره للتدارس مع الإخوة التونسيين، حيث بقي على نشاطه، حتى جاءت سنة 1843 التي فيها انتقل إلى ليبيا، وكون على رأس الجبل الأخضر "الزاوية البيضاء"، "وجعلها مركزا له ثم نقلها إلى واحة جغبوب جنوب طرابلس مركز القوافل ليسهل عليه الاتصال بالمسافرين وفيها أقام مركزا كبيرا له ولأتباعه فيه مدرسة واسعة ومكتبة تحوي(8) آلاف مجلد في مختلف العلوم. وانتشرت تعاليمه في جميع جهات برقة، "[2] والتي كانت منطلقا حقيقيا نحو نشر العلم والدعوى إلى الله لا سيما في إفريقيا الشرقية وفي إفريقيا الغربية وفي حتى مصر[3].

غير أن مكانته العلمية ازدادت بين الأهالي لا سيما لما انتقل إلى "زاوية العزبات" في عام 1854م وفي "زاوية الجغبوب" تمكن من الحصول على موافقة الأهالي بأن ينال شرف المكوث بها حتى وافته المنية واختاره الله إلى جواره بالجنوب سنة 1276هـ، 7 سبتمبر 1859م.

المنهج عنده:

أما عن المنهج الذي عُرف به في جُل مؤلفاته وهي كثيرة، فإنه يتميز بالمنهج الإصلاحي. ذاك الإصلاح الذي كان له بمثابة الهدي، من أجل شق الطريق نحو ترك بصماته وبصمات الحركة السنوسية عامة في البلاد الإسلامية، لا سيما منها العربية والإفريقية.

وإذا كان الإصلاح هدفه الأول والأخير فهو بذلك يشكل أيضا وسيلة. ومن هنا فلقد اتسم بالمنطقية والواقعية. بالمنطقية: لأنه مرتب ترتيبا منطقيا فلم يكن يقبل على أي فعل إلا ويتدبره بشكل جيد أهو مرغب فيه أم انه مرهب. فلقد سلك طريق المنطق الذي يصلح للتعامل مع هذه الحقائق. حقيقة بث الوعي الإسلامي بلغة عصرنا. وحقيقة التكفل بالنتائج التي تترتب عن بث هذه الحقائق.

وإذا كان الأول مقاما عنده على المجهود الشخصي الذي كان يبذله، فإن الثاني مقام على التسخير الذي كان له من العالم المادي ومن العالم المعنوي. ومن هنا فإنه لتحقيق كل هذه المطامح اتبع في إصلاحه الطريقتين البرهانية والإشراقية معا.

أولا: المنهج الإصلاحي الغالب فيه أنه هو نفسه الذي اتبعه محمد بن عبد الوهاب:ومن هنا فإنه يمكننا القول أنه كان وهابي الوسيلة.

وثانيا عرف أيضا بإتباع المنهج البرهاني «الطريقة الثانية: الطريقة البرهانية. وأصحاب هذا الطريق يتبعون الأوامر ويجتنبون النواهي ويتقبسون العلوم الأربعة، الذات والصفات والفقه والحديث والدلالات. وقد اتبع السنوسي للوصول للكمال الطريقةَ البرهانية لأنها –كما يقولون- هي حالة النبي صلى الله عليه وسلم وغالب أصحابه. مما تهدف إليه الطريقة السنوسية الصلة بين الفرد والرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ويسمون هذا بـ«الوصول». فالسنوسية تؤمن بإمكانية الاتحاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم! وأتباع السنوسي يعتقدون أن

---

[1]) تذكر بعض المصادر أنه أسس أكثر من 51 زاوية على التراب الليبي وحده ومجموع الزوايا التابعة للحركة السنوسية هو زاوية121 منتشرة في العالم الإسلامي

[2]) فتحي يكن (إشراف)، الموسوعة الحركية ، تراجم إسلامية من القرن الرابع عشر الهجري ،المجلد الأول ، الطبعة الثانية ،دار البشير، 1983،ص234.

[3])عبد الكريم بوصفصاف وآخرون ، معجم أعلام الجزائر الجزء الثاني ، دار الهدى عين مليلة الجزائر 2004،ص175

السنوسي محمد بن علي كان متصلاً بالنبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، وقد قال هو عن نفسه بأنه مأمور من الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء الزوايا والدعوة إلى الله » [1].وهو في هذا شأنه شأن الحكماء من الذي أخذوا بالطريقة البرهانية فهو في هذا يشبه إلى حد ما فيلسوف قرطبة ابن رشد في بداية المجتهد ونهاية المقتصد.والبرهنة المنطقية التي ميزته على الرغم من التفاوت الزمني بين الرجلين. ولكنها الحقيقة لأن صاحبنا كان قد نهل من المنطق ومن الفلسفة في تكوينه العلمي .

وكذا المنهج الصوفي[2] ألإشراقي[3] - "والتصوف مذهب في الزهد والانفراد عن الخلق والإقبال على العبادة والتأمل. كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته...الحق بعضهم بالتصوف ما تحلى به الصحابة وأتقياء المسلمين الأولين من روح الزهد والتعبد حسب ما أوصى به الإسلام.أما التصوف الحقيقي فقد انتشر في القرن الهجري الثاني وما بعده حين مالت الدولة العباسية إلى الانحطاط ويمكننا أن نقول بأن تصوف السنوسي كان تصوفا معتدلا أو تصوف المحافظين كالحسن البصري (-728م) أستاذ واصل بن عطاء رئيس المعتزلة، ورابعة العدوية(-801م) التي جعلت الحب بدل الخوف قاعدة للزهد.....وغيرهم كثير- ولقد كان تصوف السنوسي عكس تصوف المتطرفين لأنهم استخفوا بالفرائض الدينية وتخطوا تعاليم الإسلام إلى نظريات مختلفة أهمها الحلول وهو نزول الله منزلة الساكن في الصوفي أو في غيره من الكائنات، ثم وحدة الوجود، وهي القول بأن الوجود جوهره واحد هو الله الحق، وما سائر الكائنات سوى مظاهر له وظلال.امتاز هذا النوع من المتصوفين بشطحاتهم وهي كلمات تصدر عنهم في حالة الغيبوبة والإتحاد التام بالله بحيث لا يشعرون إلا بالحق ويتكلمون باسمه " أنا الله فاعبدوني"للبسطامي (-874م).

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا. الحلاج(-921م)
...إلى غير ذلك ممن اتصفوا كما قلنا بالصوفية المتطرفة[4].

ولقد حاول السنوسي أن يتلافى أغلب قصور تلك الطرق فرسم منهجه ألعقيدي على ضوء الكتاب والسنة فقال: «اعلم أن سبيل القوم إتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الجليل والحقير، وأعمالهم موزونة بميزان الشريعة».

ومع ذلك فقد كانت الطريقة السنوسية تهدف –كأي طريقة صوفية- إلى الوصول للكمال الأعلى، وهذا الوصول له طريقتان عندهم. الطريقة الأولى: الطريقة الإشراقية، وأصحاب هذه الطريقة دأبهم تصفية النفوس من الأكدار وتوجيهها نحو الحق لنهج المعارف والأسرار بدون تعلم ولا تعليم من باب «اتقوا الله ويعلمكم الله»"[5]..

وقد يسأل السائل فيقول: المنهج ألبرهاني نقيض المنهج الصوفي فكيف كان يتعامل معهما؟ أو فكيف كان يجمع بينهما؟ فنقول إن الجمع بين المنهجين لا يقدر عليه إلا ذووا الحُجة[6]. والشيخ العلامة السنوسي كان من هذه الفصيلة، وتكوينه أكبر شاهد على هذا. إنه العلامة الذي أخذ حضه الوافر من علوم الشرع. وكذا نال أيضا من المنطق والفلسفة، كما سبق وأن أشرنا.

---

[1])أنظر http://.fustat.com/c_his/tarteeb18.shtml_ftnc

[2]) الراغب الإصفهاني ، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي 1972 ص344 343لم ترد فيه لفظة التصوف وإنما وردت فيه لفظة العارف جاء فيه: والعارف في تعارف قوم هو المختص بمعرفة الله ومعرفة ملكوته وحسن معاملته تعالى... أما العرّاف كالكاهن إلا أن العرّاف يختص بمن يخبر بالأحوال المستقبلية، والكاهن بمن يخبر عن الأحوال الماضية، والعرِيف بمن يعرف الناس ويعرّفهم...

[3] الإشراق مصطلح صوفي عرف به صاحب المنقذ من الظلال أبا حامد الغزالي

[4]) رمزي نجار ، الفلسفة العربية عبر التاريخ دار الآفاق الجديدة الطبعة الأولى 1977،ص 235-236

[5])http://.fustat.com/c_his/tarteeb18.shtml_ftnc

[6] الحجة بمعنى ذووا البرهنة العقلية الدامغة فيقال فلان حجة في كذا أو كذا وعرف عن الغزالي أبا حامد بأنه حجة الإسلام.

وإذا كان التكوين الأول يتماشى وفكرة الإصلاح فإن التكوين الثاني يتماشى وفكرة البرهنة باستخدام الأدوات المنطقية(القياس) والفلسفية (البرهنة العقلية)[1] وأكثر من هذا فلقد قلنا عن الرجل أنه كان ذا طريقة إشراقية.

والإشراق[2] كما هو معروف وسيلة الطريقة الصوفية. وهو على ضربين: ما يمكن أن نسميه بالإشراق العقلي وما يسمى بالإشراق القلبي. ولكن الثابت أن كلتا الحالتين طريقتين تجتمعان في الشخص المتصوف. وقد لا تجتمعان. فيقال أن صاحبنا ذا طريقة صوفية تصوفا عقليا[3]. أو ذا طريقة صوفية تصوفا قلبيا. وهذا معروف لدى ممارسي هذه التجارب والتجربة "لا يعرفها إلا من ذاقها" كما يقول أبا حامد الغزالي، ومن هنا كان له منهج اتبعه. حتى توصل إلى أن قذف في قلبه نورا وهو ما يعرف بالإشراق الصوفي. يقول الغزالي في هذا المعنى..." وأما العارفون فقد جاوزا العتبة، وانسرحوا في الميدان ولهم فيه جولان على حدود مختلفة في القرب والبعد....وأما حظوة القدس في صدر الميدان فهي أعلى من أن يطأها أقدام العارفين....بل لا يلمح ذلك الجانب الرفيع صغير وكبير إلا غض من الدهشة والحيرة طرفه فانقلب إليه البصر خاسئا وهو حسير "[4] (الغزالي أبو حامد المنقذ من الظلال).

والسنوسي كان تصوفه جامعا لهما.أي كان يجمع بين التصوف العقلي والتصوف القلبي (الروحي).كما أنه كان تصوفا معتدلا كما رأينا لما جمع بينهما وهو الشيء الذي يحقق منطق المنهج.

تصور الحركة أو الإصلاح السنوسي

رأى محمد بن علي السنوسي أن من واجبه أي يقيم الإصلاح لما رأى من فساد في الأمة الإسلامية ذاك الفساد الذي امتد نحو كامل الأصقاع فكان عليه أولا أي يقيم برحلات ابتدأها إلى فاس في المغرب وإلى القاهرة في مصر ثم إلى مكة للاستزادة من العلم والاتصال بعلماء المسلمين للأخذ عنهم ومخالطة عامة المسلمين

1- **تشخيص الحال:**

وكان أن أعاد سبب تأخر المسلمين إلى الأسباب التالية :

- الجهل الذي تفشى في المسلمين لا سيما منه الجهل بأمور دينهم لأنه رأى أن هذا أكبر جهل وتليه بقية الجهالة في العلوم جميعها.

- الفرقة التي طبعت عامة المسلمين حيث تفرقوا إلى طوائف ومذاهب وشيع، وكل ذلك ما كان يخدم الدين الحنيف، في شيء ولا يخدم أمور الساسة عندهم. ومن هنا فلقد سعى إلى لم الشمل.

- الوهن الذي أصاب الأمة وزحف حتى عند علمائها الذين ما استطاعوا أن يؤججوا فيها الروح الجهادية، بسبب الوهن الذي أصابهم هم أيضا

ويجمع الباحثون بأن حالة الأمة قبل ظهور دعوة السنوسي التجديدية طبعت بالمواصفات التالية:

1- تمكن الحسد والبغضاء من قادة الدولة العثمانية في ذلك الوقت.

2- استبداد الملوك والأمراء وجورهم، وظهور حالة من التظالم الاجتماعي والاستبداد السياسي.

3- خيانة الأمراء وغشهم للأمة.

4- الإخلاد إلى الدعة والراحة.

---

[1]) وهو هنا يشبه أبا الوليد ابن رشد الذي كان يحاول التوفيق دائما مابين العقل والنقل .

[2]) الإشراق الصوفي طريقة للوصول إلى معرفة الله عن طريق القلب لمزيد من التفاصيل أنظر في هذا أبا حامد الغزالي ، المنقذ من الظلال.

[3] التصوف العقلي عرف به بعض فلاسفة الإسلام لمزيد من التفاصيل أنظر فكرة العارفون لبن سينا في كتابه الإشارات والتنبيهات ص789.

[4] الغزالي أبا حامد المنقذ من الظلال .

5- الجمود في ميادين العلم والمعرفة، وتخلف الصناعات الحربية و ضعف الجيش بعامة.

6- ظهور الثورات العرقية نتيجة لضعف السلطة السياسية والعسكرية للدولة، ونشأت الكثير من الحركات الانفصالية التي تطالب بالاستقلال عن جسم الدولة العثمانية.

7- تشكيل جمعيات قومية سرية وعلنية مشبوهة.

8- ظهور التوجهات العلمانية التي تم تقويتها ودعمها من قبل اليهود المحاربين والنصارى المعادين للأمة، وذلك بسبب منع العثمانيين اليهود من امتلاك أرض فلسطين، أما النصارى فقد كانوا يخططون للانتقام من المسلمين بسبب فشل حملاتهم الصليبية.

9- إصابة المؤسسات العلمية كالأزهر الشريف وجامع الزيتونة بحالة انحطاط شديد، وهيمن على العلم طوائف وأسر أرادت أن تتخذ من العلم وسيلة للكسب المادي والثراء، فقاوموا إدخال المطابع إلى الدولة وطباعة الكتب الدينية.

وكان من آثار ذلك على الدولة العثمانية المنهكة : احتلال الفرنسيين لمصر عام 1798 للميلاد، حتى عام 1801، وبعد خروجهم منها خلفوا وراءهم محمد علي باشا الذي كان بحق مصيبة كبرى على مصر وعلى الأمة المسلمة. وكذلك فإن من آثار ضعف الدولة وتهالكها احتلال فرنسا للجزائر عام 1830 للميلاد، وفشل الدولة العثمانية في منعها، كذلك الحال بالنسبة لتونس والسودان الغربي..[1]

ومن هنا فلقد كرس السنوسي محمد بن علي جل وقته في السهر على نشر التعليم بكل الإمكانيات المتوفرة لديه، واستطاع أن يوجد نخبة لا بأس بها من فطاحل العلماء الذين ساروا على نهجه في الإصلاح والذين تسابقوا إلى نشر الدعوة الصافية كما جاءت في كتاب الله وفي سنة رسوله الكريم واستطاعوا أن يؤلفوا بين القلوب ويقيموا لم الشمل بين أبناء الأمة. كما رأى أن أحسن وسيلة لتحقيق الأهداف جميعها هي مسالك الصوفي ومن هنا فلقد راح يؤسس لحركته الزوايا. محذرا من المسالك الغير اللائقة بالدين الحنيف والمتبع بعضها من قبل بعض رجال الصوفية التي كانت منتشرة في ذاك الوقت "مثل التغني بالأذكار والضرب على الطبول"[2]. وخشية منه أن تتفشى كل هذه السبل "....فتفرق بكم عن سبيله...."[3]وكي يرأب الصدع عن كل مالا يخدم الشريعة الإسلامية الحنفية السمحة، راح يقيم الكثير من الأعمال في هذا الاتجاه أي الاتجاه الإصلاحي.

"لذلك أنشأ الزوايا وجعل فيها مراكز للتعليم، وموطنا لإعداد دعاة ومرشدين تحلوا بفضائل الأخلاق، وتمرسوا بالصبر والأناة، لنشر الإسلام في مختلف الأقطار كما جعلها مركزا لأعماله الزراعية والتجارية، وملجأ يأوي إليه المسافرون "[4]

2-النظام الذي عرفت به زويا محمد بن علي السنوسي.

يقول الدكتور عجيل النشمي"وقد حافظ السيد محمد السنوسي على سير الزوايا بخطة والده، فهي السبيل الناجح لانتشار الحركة. وقد توسع في نشرها كثيراً حتى وصلت عام 1888م إلى مائة زاوية خضعت من خلالها جميع الأقطار الليبية، ويدين لها في برقة كل القبائل تقريباً. وفي تونس أنشأ السنوسي خمس زوايا، وفي الجزائر خمس زوايا،وفي مراكش ثلاث زوايا، وأنشأ زوايا في طريق القوافل إلى مصر في سيوه والزيتون والحوش (حوش أبي عيسى) بجهة الإسكندرية والنطرون، ثم في الفرافرة منذ عام 1860م، وفي الترتيبات من الواحة الداخلة، وهذا عدا الزوايا في القطر المصري نفسه في الإسكندرية والقاهرة والسويس، وبلغت زواياه في مكة

---

[1] G:\Almukhtar Libyan Media.htm (

[2] فتحي يكن (إشراف)الموسوعة الحركية، ص234

[3] سورة الأنعام الآية 153

[4] المرجع نفسه ص234

وجدة وينبع والمدينة المنورة اثنتي عشرة زاوية، ووصلت الزوايا حتى العراق وساحل الصومال الإفريقي ثم القسطنطينية والهند"[1].

وتذكر بعض المصادر الأخرى أن الحركة السنوسية كان لها أكثر من 121زاوية وتذكر أن التي أسسها السنوسي محمد بن علي هي 51زاوية.

كما قلنا فلقد أقام زوايا. غير أنها كانت تتميز بالنظام في كل الجوانب وحتى في الجانب الهيكلي فلقد كانت هذه الزوايا تقام على النحو التالي:

- كان المشيدون لها يضربون حولها بسور تعلوه الحصون والأبراج: فالأول قصد الدفاع عن الزوايا من أي اعتداء. والثاني بقصد ضرب الحراسة والمراقبة على الأعداء الذين بإمكانهم مهاجمة الزاوية. لا سيما وأن الفترة هي فترة الاحتلال الصليبي للبلاد الإسلامية والطليان على مشارف البلد.

وعلى مستوى الجانب الإداري فلقد "ذكر أحد المؤرخين أن المجلس كان يضم إلى كبار الإخوان المقيمين في الجغبوب كبار رؤساء الزوايا، وإنه كان يجتمع سنوياً في الجغبوب للنظر في أهم الأمور برياسة محمد الشريف، ثم تعرَض قراراته على محمد بن محمد السنوسي. وقد وزّعت الأعمال الرئيسية على أفراد هذه الفئة من كبار الإخوان، فاختصّ كل واحد منهم بجانب، فكانت لمحمد الشريف أخي محمد السنوسي مهمة الإشراف على الجانب العلمي، وقد أشار والده لاتجاهه العلمي في قوله: «للمهدي (أي محمد بن محمد) السيف، وللشريف (أي محمد الشريف) القلم». أما الآخرون فواحد للقضايا المالية، وثان للمراسلات، وثالث للمقابلات، وما إلى ذلك من اختصاصات احتاجها النظام في طوره الجديد.وقد بقيتْ كثير من النظم الإدارية السابقة على ما نظمها والده."[2]

وذُكر أيضا أن النظام هذا الخاص بالزوايا كان نظاما محكما ومقسم المهام ودقيق المسؤوليات حيث تذكر الموسوعة الحركية "...كان شيخ كل زاوية يعين من قبل رئيس السنوسيين ووظيفته الإشراف على التعليم.والفصل في الخصومات والعناية بقوافل التجار وتنظيم الدفاع عن الزاوية. وكان الاتصال تاما بين الزوايا وبين المركز الرئيسي للسنوسيين وهذا الاتصال المنظم هو الذي ساعد السنوسيين على الصمود أمام الاعتداء الإيطالي على طرابلس أعواما طويلة"[3]

أثر منطق المنهج وتصور حركة السنوسي.

1 الأثر الإصلاحي.

من بين الأثر البارز في دعوة السنوسي الإصلاحية يمكننا ذكر ما يلي:

- نشر تعاليم الإسلام: فلقد ضلت بعض المناطق الإفريقية لا سيما منها جاهلة بالإسلام الشيء الذي مكن الحركة السنوسية من إيصال الرسالة إلى هذه القبائل لاسيما كما قلنا في البلاد الإفريقية ونذكر منها على الخصوص بلاد تشاد ودارفور وأداي وغيرها من أقطار أواسط إفريقيا. من جهة، ومن جهة أخرى يمكننا القول في هذا الباب أن:

- الحركة السنوسية على يد زعيمها محمد بن علي السنوسي استطاعت أن تقف حصنا منيعا في وجه الحركات التبشيرية التي ما انفك يقوم بها رجال الدين المسيحي في القبائل الإفريقية تحت طائل غطاءات شتى أهمها طائل التداوي والتطبب من الأمراض التي كانت تفتك بالعنصر الإفريقي.

---

[1] د. عجيل النشمي، السنوسية تعدّ للعمل الجهادي لمساندة دولة الخلافة. G:\Al Fustat.htm.

[2]) المرجع نفسه من الموقع نفسه.

[3]) فتحي يكن (إشراف) الموسوعة الحركية ص235

- القيام بالتعليم الذي أيقض النفوس وحرك العزائم وشحذ الهمم وبث الوعي، غلق جميع الأبواب أمام هذا الزحف الذي استعان به الاستعمار الفرنسي لا سيما منه في الشمال الإفريقي.[1]

- "قاوم السنوسيون دخول الأجانب في البلد الإسلامية فحاربوا الفرنسيين عندما دخلوا تونس كما قاوموهم عندما تقدموا إلى أواسط إفريقيا وكان انتشار الدعوة السنوسية مصدر قلق وخوف لدى الفرنسيين فحاربوا دعوتهم في كل بلاد سيطروا عليها وكان جهادهم المشهود في مقاومة الاستعمار الإيطالي في طرابلس: فقد حاربوا الإيطاليين نحو عشرين عاما أظهروا فيها من البسالة والتضحية ما كان مضرب الأمثال. وجهاد البطل عمر المختار أحد زعمائهم يذكر بالإعجاب والتقدير".[2]

- استطاع السنوسي محمد بن علي أن يوحد بين القبائل. فالكثير من القبائل الإفريقية التي ظلت لردح من الزمن متقاتلة ومتنافرة. -استطاع- بفعل صنيعه في الدعوة والإصلاح أن يوحد بينها ويبث الألفة بينها. كما استطاع أن يجمع شمل النزاعات التي كانت تدور بنها وبين بعض العروش في البلاد العربية. "وقد ساهم في نشر الإسلام بين كثير من القبائل الوثنية في إفريقيا، وأنشأ نظاما هرميا لسلطة الزاوية في ليبيا، شكلت النواة الأولية للدولة السنوسية الإدريسية فيها وهو من الدعاة إلى الاجتهاد.[3]

يمكننا أن نجزم بالقول أن كل هذا إنما توصل إليه من رسمه للمنهج المعتدل والمتسم بالمنطق. كما أن تصور الحركة ترك آثاره بادية في كل صنيعه هذا. وبقي بعد كل هذا أن نذكر بشيء من التعقيب على بعض مؤلفاته.

2 مؤلفاته:

ألف السنوسي عددا كبيرا من الكتب في علوم الظاهر والباطن، كما يقولون أو الشريعة والتصوف. ومنها تلك التي ذكر فيها أسانيده ومسلسلاته.وقد ذكر الكتاني جملة منها في كتابه (فهرس الفهارس)حسب عناوينها، مثل الأوائل وسوابغ الأيدي، والمنهل الروي الرائق.. ومنها (السلسل المعين في الطرائق الأربعين) الذي قيل عنه أنه ذكر فيه السنوسي في فهرسته أكثر من 150كتابابأسانيدها وكلها تتصل بعلم الشريعة أو علم الظاهر.[4]

وله "هداية الوسيلة في إتباع صاحب الوسيلة".الذي فيه يشرح الطريقة التي يتمكن من خلالها من الوصول إلى الله سبحانه وتعالى وهو مصنف في التصوف و"البذور السافرة في اقتصار الشموس الشارقة". و"نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن" الذي يضع فيه الخصائص التي يجب أن تتوفر في المفسر للقرآن الكريم وهو مصنف في الأوصاف الخاصة بالمفسر ."إزاحة الأكنة في العمل بالكتاب والسنة". و"منظومة السلوك إلى ملك الملوك"وهو مصنف أيضا خاص بالشروط التي يجب توفرها في إتباع الطريقة الصوفية وهو بهذا المعنى في التصوف .

وله أيضا "رسالة تتضمن البحث في مسألتي القبض والتقليد" .وله كذلك مصنف آخر في "الكواكب السرية في أوائل كتب الأثرية"وفيه شرح لما لكتب الأولون من قيمة علمية .و"لوامع الخذلان على من لا يعمل بالقرآن". و"مختصر بغية الطلاب في علم الأنساب" وهو مصنف يعنى حسب عنوانه بالطريقة التي من خلالها نتمكن من الوصول إلى الأنساب وهو مصنف يمكن اعتباره في علم السلالات كما يسمى اليوم.. وله "شرح البسملة"وفيها وقف على أسماء الله الحسنى من صفة الرحمان وصفة الرحيم بالإضافة إلى وقفته على الله وما يتميز به من ألوهية. و"التحف في أوائل الكتب الشريفة". "سيف النصر والتوثيق وعناية السلوك والتحقيق".

---

[1]) في هذا الباب نذكر أن الرحالة الفرنسي مشال دو فوكو Michel deFoucaut لم يتمكن إلا أن يتقوقع بالأهقار بتمنراست ولم يتمكن من إيصال تبشيره إلى القبائل الإفريقية إلا قليلا رغم المساعدات الطائلة التي كانت تدار عليه من مختلف البلاد الصليبية .

[2]) فتحي يكن(إشراف) الموسوعة الحركية ص236

[3]) عبد الكريم بوصفصاف، وآخرون معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 176

[4]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص. 256

و"فحم الأكباد في مواد الاجتهاد". و"ريحانة الجيوب في عمل السطوح والجيوب". و"المواهب السرية في منتقى الأوضاع الحرفية". "تحف المحاضرة في آداب التفهم والتفهيم والمناظرة"وهو كتاب يعنى بالطريقة المثلى في التعليم وفيه أسئلة وإجابة المناظرات وكيف يجب أن تكون عليه.و"قرة عين أهل الصفا في صلوات المصطفى"وهو كتاب في التصوف أيضا . "عصمة الرسول مفتاح الحفر الكبير".و"شفاء الصدر".وهو عبارة عن توضيح وتحليل لآيي القرآن الكريم . و"المنهل الروي الرائق في أسباب الغلول وأصول الطرائق". و"كحالة في أول من ألف في فن الحديث". و"الدرر الفردية في ذكر أوائل الكتب الأنزهية". وكذلك له "المسائل العشر" "المسمى" "بغية المقاصد خلاصة المراصد". و"الدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية"وهو مصنف في علم السلالة حيث يتتبع فيه الأنساب من آخر سلالة السنوسي إلى الأصل الأول لها وهو كتاب يمكنه أن يصنف في علم السلالات كما هو معروف اليوم . و "إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن". و"شذور الذهب في محض محقق النسب".و"بغية السور في الاجتهاد والعمل بأحاديث الرسول"[1] .

لقد كان السنوسي محمد بن علي، فعلا العلامة الشارح، الذي اتصف بمنطق المنهج. وبتصور أخذه منن الحركة السنوسية عامة، ومن جواهر هذه الحركة بصفة خاصة . والحمد لله رب العالمين .

[1]) عبد الكريم بوصفصاف، وآخرون موسوعة أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين،ص176-177